

عبد الرؤوف أرناؤوط*

القدس: هبة شعبية بلا قيادة

يرى حسين أبو خضير أن استشهاد ابنه الفتى محمد على يد ثلاثة مستوطنين فجر الرابع من شهر رمضان ١٤٣٥ هـ (٢ تموز / يوليو ٢٠١٤) كان نقطة تحول في مدينة القدس الشرقية. وثمة عدة شواهد على ذلك تبدأ بعودة مظاهر الانتفاضة الفلسطينية الأولى إلى أحياء المدينة، مروراً بتنامي مقاطعة البضائع والأسواق الإسرائيلية، ووصولاً إلى بروز المشاعر الوطنية كما تم التعبير عنها في استبدال قطاع واسع من الشبان الأغاني العبرية التي كانوا يطلقونها من مكبرات الصوت في سياراتهم، بأغاني مارسيل خليفة وأحمد قعبور و"حماس".

وهذه لم تكن المرة الأولى التي تهبّ فيها القدس في وجه الاحتلال الإسرائيلي، غير أنها المرة الأولى التي تهبّ فيها وحيدة من دون الضفة الغربية وقطاع غزة، ومن دون أن يكون هناك من يرفع الصوت لمؤازرتها، فكلّام الناس عن عدم قدرتهم على تحمّل مزيد من التعسف الإسرائيلي يقتصر بتوجيه الاتهام إلى المستوى الرسمي الفلسطيني

بإهمال المدينة وسكانها. كانت الساعة الرابعة من فجر الثاني من تموز / يوليو حين اختار محمد (١٦ عاماً)، ركناً على حافة سور يحيط بمنزله في بلدة شعفاط، شمالي القدس الشرقية، لانتظار أصدقاء له يرافقونه لأداء صلاة الفجر في المسجد الملاصق.

يقول حسين وهو يجلس في شرفة متواضعة في منزله حيث تلقى خبر اختفاء ابنه الذي قال إنه كان أحبّ أبنائه: "كان دائماً يسبقني إلى صلاة الفجر للقاء أصحابه قبل الصلاة".

في فجر ذلك اليوم قام ثلاثة مستوطنين إسرائيليين باختطاف محمد في سيارة، ثم سارعوا به إلى غابة في دير ياسين حيث أحرقوه حياً في حادثة فجّرت غضباً تراكم أعواماً طويلة.

كان الحادث بمثابة الشرعة التي قصمت ظهر البعير لنحو ٣٠٠,٠٠٠ مقدسي تزداد معاناتهم يوماً بعد يوم جرّاء سلسلة لا تنتهي من ممارسات الاضطهاد الإسرائيلية الهادفة إلى إجبارهم على الهجرة الصامتة من المدينة.

فعلاوة على تقييد عمليات البناء

* صحفي فلسطيني مقيم في القدس.



تشجيع الفتى محمد أبو خضير الذي يظهر في الإطار داخل الصورة

من الساحة إلى الشارع الرئيسي.
فتح الفلسطينيون في القدس صفحة
جديدة مع قوات الاحتلال، وتحول التوتر في
المدينة إلى ثورة غاضبة امتدت سريعاً من
حي إلى آخر، حتى أطلق عليها رئيس بلدية
القدس الغربية نير بركات اسم "الانتفاضة
الصامتة".

وقد اختار بركات هذا الاسم لتوجيه
الأنظار إلى ما يجري في المدينة في ظل
الانشغال الإسرائيلي الرسمي والشعبي
بحرب أعلنتها إسرائيل على غزة بعد خطف
ثلاثة مستوطنين إسرائيليين في جنوبي
الضفة الغربية، ومقتلهم.

وإذا كانت جريمة القتل الهمجية للفتى
أبو خضير قد أيقظت غضباً كمن كثيراً في
صدور شبان القدس، فإن ما تلا الحادثة تلك
من صلافة إسرائيلية في تدنيس الأماكن
المقدسة في القدس، والتضييق المتصاعد
على سكانها من الفلسطينيين، معيشياً
وأمنياً، وعمليات الاعتقال والاعتداءات
ومخططات التهجير والاستيلاء على المنازل،

العربي في المدينة، في مقابل انفلات
البناء الاستيطاني الإسرائيلي داخل الأحياء
الفلسطينية وفي المستعمرات الإسرائيلية
المقامة على أراضي القدس الشرقية، فإن
السلطات الإسرائيلية شطبت، منذ سنة
١٩٦٧، إقامات ما يزيد عن ١٤,٨٠٠
مقدسي بداعي تغيير مكان إقامتهم، وزادت
من وطأة الضرائب والملاحقات على غير
القادرين على دفعها.

كانت الساعة قرابة السادسة صباحاً
حين بدأ فلسطينيون في بلدة شعفاط
يتداولون أنباء عن اختطاف فتى من أبناء
البلدة على يد مجموعة من المستوطنين.
وكتب كثيرون على شبكات التواصل
الاجتماعي: "اختطاف شاب في شعفاط من
قبل المستوطنين وقتله".

ولم تكد ساعات قليلة تمضي حتى كان
المئات من أبناء القدس يتجمعون في ساحة
مقابلة لمنزل الفتى، وقد بدت عليهم علامات
الغضب الشديد بعد أن نمت الفاجعة إلى
مسامعهم. ومع تأكيد استشهاد محمد انتقلوا

كان يدفع أكثر نحو أعمال ستكون أكثر عنفاً من إلقاء حجارة أو قنابل حارقة أو طعن بالسكاكين ضد إسرائيليين.

ففي غضون ٢٤ ساعة في ٥ و٦ تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠١٤، نفذ فلسطينيان عمليتي دهس: الأولى في القدس وأسفرت عن قتل ضابط ومستوطن إسرائيليون وجرح ١٢ آخرين، والثانية في الخليل في الضفة الغربية وأسفرت عن جرح ٣ جنود إسرائيليين.

وقبل تلك العمليتين، كان شاب فلسطيني دهس بسيارته في ٢٢ تشرين الأول / أكتوبر مجموعة من الإسرائيليين في القدس موقعاً قتل وجرح في صفوفهم.

ولقيت عمليات الدهس صدى على صفحات التواصل الاجتماعي، فكان وسم "دعس" أبرز ما تم تداوله في حينه، وقد عبّر من خلاله ناشطون فلسطينيون وعرب، وبأشكال متنوعة، عن تضامنهم ومواقفهم تجاه حالات دهس المستوطنين في القدس والخليل.

وتجاوز عدد المشتركين في صفحة "دعس" على "الفيس بوك" ٢٠,٠٠٠ خلال ٣٦ ساعة، كما لقي وسم "دعس" رواجاً واسعاً على موقع التواصل الاجتماعي "تويتر" لم يقتصر التغريد فيه على الكتابة فحسب، بل نشر الناشطون صوراً ومقاطع فيديو تعبر بشكل فني وبآخر يحمل طابع السخرية (موقع "الجزيرة نت" الإلكتروني، "دعس" وسم للتضامن مع عمليات دهس المستوطنين"، الجمعة ٧ / ١١ / ٢٠١٤)

وعلى الرغم من الغليان في الشارع الذي حذرت منه أجهزة أمن إسرائيلية، ورئيس بلدية الإحتلال نير بركات، فإن حكومة بنيامين نتنياهو واصلت الضغط على الفلسطينيين وتسهيل تدنيس المستوطنين

والمسؤولين الإسرائيليين للحرم القدسي الشريف، الأمر الذي زاد في حالة الاحتقان إلى مستوى بات يؤشر إلى انتفاضة ثالثة ربما تكون أكثر عنفاً من الانتفاضة الثانية، لكن عبر عمليات ينفذها أفراد لا يوجد بالضرورة مجموعات منظمة أو فصائل وراءهم.

وهكذا، في يوم الثلاثاء ١٨ تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠١٤، أقدم ابنا العم غسان وعدي أبو جمل، على تنفيذ عملية استخدمتا فيها مسدساً حربياً وبلمطة، واستهدفتا مصلين في كنيس يهودي في القدس الغربية يؤمّه متدينون متشددون، فقتلا ٥ مستوطنين وجرحا ١٣ آخرين قبل أن يستشهدا برصاص قوات الاحتلال الإسرائيلي.

وعقب عملية الكنيس اليهودي، اندلعت مواجهات عنيفة بين الشبان الفلسطينيين في القدس وفي الضفة الغربية، وبين قوات الاحتلال التي اقتحمت وسط رام الله والبيرة، بينما احتفل الفلسطينيون في القدس والضفة وغزة والشتات بهذه العملية.

وأمام مثل هذه العمليات وقفت أجهزة الأمن الإسرائيلية عاجزة، ووفق أحد المسؤولين الأمنيين الإسرائيليين، فإن زرع مخبرين بين مجموعات منظمة أمر سهل ويمكن تلك الأجهزة من اكتشاف بعض العمليات قبل حدوثها، لكن لا يمكن زرع مخبر في رأس شخص أوى إلى فراشه ليلاً واستفاق صباحاً وقرر أن يقوم بعملية دهس أو طعن.

وتدل معطيات جهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك) على ارتفاع كبير في الهجمات، إذ قال الشاباك في تقريره الشهري إنه في مقابل ١١ هجوماً وقعت في القدس خلال حزيران / يونيو فإن ٨٣ هجوماً حدثت في تموز / يوليو، وشملت خمس عمليات إلقاء عبوات ناسفة، وعملية



مسعفون إسرائيليون خارج الكنيس الذي هاجمه ابننا العم أبو جمل

مدينة القدس، فعشرات الشبان الملتحين يخرجون يومياً لإغلاق الشوارع بالإطارات المشتعلة وحاويات القمامة الكبيرة إيداناً ببدء مواجهات تستمر ساعات، ويتم فيها استخدام الحجارة والزجاجات الفارغة والحارقة في مواجهة القنابل الصوتية والمسيلة للدموع والرصاص المطاطي التي تطلقها قوات الاحتلال الإسرائيلي بكثافة على المتظاهرين.

ولم تتوقف المواجهات عند حدود بلدتي شعفاط وبيت حنينا المتجاورتين، اللتين أغلقت قوات الاحتلال مداخلهما لأكثر من أسبوعين في عملية حصار غير مسبوق، بل امتدت أيضاً إلى البلدة القديمة وأحياء سلوان والطور والعيساوية ورأس العمود ووادي الجوز وجبل المكبر وصور باهر ومخيم شعفاط.

وكان الشبان في أغلب الأحيان يخرجون إلى الشوارع، بعد الإفطار، خلال شهر رمضان ٢٠١٤، للاشتباك مع القوات

إطلاق نار واحدة، و٧٧ عملية إلقاء زجاجات حارقة.

أما بالنسبة إلى شهر آب / أغسطس، فإن التقرير الشهري للشاباك يشير إلى أنه شهد ٦٩ هجوماً شملت إصابة أربعة إسرائيليين في عمليات طعن، وعملية إطلاق نار واحدة، و٦٦ عملية إلقاء زجاجات حارقة.

ومع أن التقرير لم يتضمن حوادث رشق الحجارة شبه اليومية في معظم أحياء القدس الشرقية على قوات الاحتلال الإسرائيلي، إلا أن رئيس بلدية القدس الغربية نير بركات قال في اجتماع للجنة الداخلية والبيئة البرلمانية الإسرائيلية في تشرين الأول / أكتوبر، إن ٥٠٠٠ حجر تُرشق شهرياً على أهداف إسرائيلية في المدينة.

ملتزمون.. إطارات مشتعلة

ومفرقات نارية

عادت مظاهر الانتفاضة الأولى إلى أحياء

غاضبين إلى الشوارع فانطلقت الشرارة في شعفاط وانتقلت إلى كل القدس، أرادت إسرائيل التغطية على جريمة قتل ابني بشنّ حرب على غزة، لكن قضية محمد كانت أقوى من الحرب التي أعلنوها.

٩٤٣٤ إسرائيلياً اقتحموا المسجد الأقصى

تصاعدت الهبة الشعبية الفلسطينية في وجه الاحتلال الإسرائيلي بسبب الاقتحامات الإسرائيلية للمسجد الأقصى، والتي ازدادت وتيرتها في وقت بدأت الشرطة الإسرائيلية بتشديد الخناق على دخول المصلين المسلمين إلى المسجد.

فقد اقتحم ١٣٢٦ إسرائيلياً بين مستوطن وعنصر مخابرات وشرطة. المسجد الأقصى خلال آب / أغسطس وحده، الأمر الذي رفع عدد الإسرائيليين الذين اقتحموا المسجد منذ بداية سنة ٢٠١٤ إلى ٩٤٣٤ إسرائيلياً حتى نهاية ذلك الشهر. وفي هذا الصدد يقول مدير عام دائرة

الإسرائيلية، ولا يعودون منها إلا في ساعات السحور.

وقد أدخل الفلسطينيون وللمرة الأولى سلاحهم الجديد وهو المفرقات النارية التي حوّلوا فيها ظلام الشوارع إلى نهار، الأمر الذي دفع السلطات الإسرائيلية إلى حظرها. يقول حسين أبو خضير: "استشهد ابني محمد كان نقطة تحوّل. لم يحدث أن أحرق إنسان وهو حي إلا عند النازيين الجدد... وهم الإسرائيليون".

ويضيف وقد اغرورقت عيناه بالدموع: "المستوطنون أخذوا ابني إلى دير ياسين وقيدوا يديه ورجليه وسكبوا عليه البنزين وأحرقوه وهو حي، مثلما اعترفوا للشرطة، كما أن تقرير التشريح أثبت وجود دخان في الرئة".

هبة عفوية

نظر الوالد من نافذة شرفته المطلة على شعفاط وقال: "الشباب انتفضوا وحدهم من دون أن يطلب منهم أحد ذلك، خرجوا



اشتباك بين شبان فلسطينيين وجنود إسرائيليين في ١١/٤/٢٠١٤ في بلدة شعفاط شمالي القدس



مستوطنون إسرائيليون داخل باحة المسجد الأقصى

اليهودي "المشارك في الائتلاف الحكومي، مخططات لتقسيم المسجد الأقصى زمانياً ومكانياً بين المسلمين واليهود. ويقول الشيخ الخطيب: "طالبنا الشرطة الإسرائيلية بوقف إجراءاتها، لكنها لم تستجب."

أمّا الفلسطينيون فرفضوا الإجراءات الإسرائيلية وردوا عليها باعتصامات أمام بوابات المسجد، والتي غالباً ما تخللتها اشتباكات مع الشرطة الإسرائيلية.

دور النساء في صدّ الاقتحامات للأقصى

أدت النساء دوراً بارزاً في "التنغيص" على المستوطنين الإسرائيليين اقتحاماتهم، فكنّ يلاحقنهم من مكان إلى آخر في ساحات المسجد وهنّ يرددن "الله أكبر". وبينما منعت الشرطة أغلبيتهم من الدخول إلى المسجد، فإنها أبعدت بعضهن عن

الأوقاف الإسلامية في القدس الشيخ عزام الخطيب، في حديث خاص، إن "ما يجري في المسجد الأقصى غير مسبوق، إذ إن الشرطة الإسرائيلية تستبجح المسجد بتسهيل اقتحامات المستوطنين عبر باب المغاربة، في الوقت الذي تفرض قيوداً على دخول المصلين المسلمين إلى المسجد." وفي معظم الأحيان كانت الشرطة الإسرائيلية تمنع الرجال دون سن الخمسين والنساء من جميع الأعمار من الدخول إلى المسجد في فترة ما قبل صلاة الظهر، وهي الفترة نفسها التي تشهد اقتحامات إسرائيلية للمسجد.

وتتم الاقتحامات من خلال باب المغاربة، وهو إحدى البوابات في الجدار الغربي للمسجد، والذي تسيطر عليه الشرطة الإسرائيلية منذ سنة ١٩٦٧ بعد احتلالها المدينة، وذلك بالتزامن مع إعلان قياديين في حزبي "الليكود" الحاكم، و"البيت

المسجد لأسابيع وأشهر.

وقالت أم محمد في حديث خاص، وهي امرأة متزوجة ومن سكان بلدة سلوان: "نأتي إلى المسجد الأقصى منذ ساعات الصباح من أجل تلقي العلم في ساحاته، وكي نؤكد بوجودنا فيه أنه للمسلمين وحدهم، وأنهم يتمسكون به، ولا نسمح للمتطرفين اليهود بأداء أي طقوس دينية تلمودية في المسجد." وأضاف: "غالباً ما تلاحقنا الشرطة الإسرائيلية، وفي أحيان كثيرة تمنعنا من الدخول، لكننا نصرّ على حقنا في الدخول، فنعتصم عند بوابات المسجد ونتعرض في كثير من الأحيان للضرب من قبل عناصر الشرطة، لكننا نصمم على حقنا في مسجدنا مهما يكن الثمن."

غير أن المنع من الدخول لا يقتصر على أيام الاقتحامات، بل يمتد إلى أيام الجمعة أيضاً، إذ تبرر الشرطة الإسرائيلية إجراءاتها بالحديث عن مخاوف من اندلاع تظاهرات بعد انتهاء صلاة الجمعة، الأمر الذي دفع الشبان إلى إقامة الصلاة في أقرب نقطة يتمكنون من الوصول إليها على مقربة من بوابات البلدة القديمة، وبات مشهد الصلاة في الشوارع إحدى متلازمات أيام الجمعة في القدس.

وللمرة الأولى منذ سنة ١٩٦٧ منعت

الشرطة الإسرائيلية المصلين الشبان والمصلين من الضفة الغربية من الوصول إلى المسجد لإحياء ليلة القدر، الأمر الذي دفع الشبان إلى تنظيم مسيرة حاشدة شارك فيها الآلاف في اتجاه حاجز قلنديا العسكري الإسرائيلي، شمالي القدس، وانتهت بمواجهات تزامنت مع مواجهات شديدة على بوابات المسجد الأقصى.

كما أنه للمرة الأولى منذ سنة ١٩٦٧

تقدم السلطات الإسرائيلية على إغلاق

المسجد الأقصى يوماً كاملاً أمام المصلين في ٣٠ تشرين الأول / أكتوبر، وبعد أقل من أسبوع اقتحمت قوات الشرطة الإسرائيلية بنعالها وعتادها المسجد القبلي المسقوف حتى منبر المسجد.

وقال مفتي القدس والديار الفلسطينية

الشيخ محمد حسين، في حديث خاص: "من الواضح أن هناك نوايا سيئة من قبل الاحتلال لمحاولة فرض واقع جديد في المسجد الأقصى المبارك، فمحاولات منع المسلمين من الدخول في ساعات محددة تصبّ في إطار محاولات فرض واقع جديد في المسجد."

وأضاف: "لكن مهما يحاولوا فإنهم لن ينجحوا في ذلك، فأبناء بيت المقدس وأكناف بيت المقدس هم الفئة المرابطة والمعتكفة في المسجد الأقصى إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً."

وتابع مفتي القدس والديار الفلسطينية:

"من واجب العرب والمسلمين الدفاع عن المسجد الأقصى بأساليب وطرق مختلفة على كل المستويات السياسية والقانونية في جميع المحافل، لإلزام هذا الاحتلال بالقانون الدولي الذي يؤكد مسؤولية سلطة الاحتلال عن المحافظة على أملاك وعقارات ومقدسات وأرواح المدنيين تحت الاحتلال."

وقال مستشار شؤون القدس في

ديوان الرئاسة الفلسطينية المحامي أحمد الرويضي، في حديث خاص: "لقد اعتقدت إسرائيل أنه بانشغال العالم بحربها على غزة، وبانشغال العالم العربي بقضاياه الداخلية، فإنه سيكون ممكناً تقسيم المسجد الأقصى، وتم الشروع في إجراءات تهدف إلى تكريس هذا الأمر من خلال اقتحامات المستوطنين وتقييد دخول المسلمين إلى المسجد، لكن سكان القدس كانوا لهم



شاب من المرابطين في المسجد الأقصى يرشق قوات الاحتلال بالحجارة

كما قاطع التجار المقدسيون المنتوجات الإسرائيلية واستبدلوها بمنتجات محلية فلسطينية أو أجنبية وعربية مستوردة، فباتت هذه المنتوجات أساسية في المحال والأسواق التجارية الفلسطينية بشكل غير مسبق.

وقال المحامي أحمد الرويضي: "المقاطعة أخذت شكلين: مقاطعة المحال والأسواق التجارية في القدس الغربية، ومقاطعة المنتوجات الإسرائيلية في المحال التجارية في القدس الشرقية." وأضاف: "كانت المقاطعة تلقائية من السكان ومن دون دعوة من أحد، وقد أدت إلى خسائر كبيرة لدى الإسرائيليين."

الخوف

على الرغم من أن مقاطعة المقدسيين لأسواق القدس الغربية والمنتوجات الإسرائيلية أتت للتعبير عن الغضب على ممارسات الاحتلال الإسرائيلي، فإنها حملت

بالمرصاد وأحبطوا هذا المخطط."

القدس الشرقية تقاطع القدس الغربية

فضلاً عن رشق الحجارة على القوات الإسرائيلية، فإن الهبة الفلسطينية في القدس الشرقية نشطت في مقاطعة الأسواق الإسرائيلية في القدس الغربية ومقاطعة المنتوجات الإسرائيلية. فلأعوام طويلة اعتمد الفلسطينيون في المدينة على الأسواق التجارية في القدس الغربية، وخصوصاً تلببوت والمالحة وحتى السوق التجارية في مستعمرة "بسغات زئيف" شمالي القدس، بسبب انخفاض الأسعار مقارنة بالقدس الشرقية.

لكن بصورة مفاجئة، قاطع المواطنون المقدسيون هذه الأسواق بشكل كامل، ولم يستجيبوا لمغرياتها التي كانت تصل عبر رسائل مسجلة إلى هواتفهم المنزلية وفي نشرات تم توزيعها عبر البريد.

كامل، كما حطموا الإشارات الضوئية التي يستخدمها القطار، الأمر الذي أدى الى توقفه عن المرور في البلدة الفلسطينية لعشرة أيام. وقال حسين أبو خضير الذي يطل منزله على سكة القطار: "خرج الشباب بعفوية، فمِنذ اليوم الأول لاستشهاد محمد، أغلق الشبان شعفاط ومنعوا القطار من المرور. السلطة الفلسطينية دفعت أموالاً طائلة لوقف تنفيذ مخطط القطار الخفيف ولم تنجح، لكن بعد استشهاد محمد توقف القطار لمدة عشرة أيام بشكل كامل."

ومنذ ذلك الحين بات القطار الخفيف هدفاً لرشقات حجارة شبه يومية، كما أنه بات يخضع للحراسة على مدار الساعة من قبل المئات من عناصر الشرطة وحرس الحدود الإسرائيليين الذين بات انتشارهم مشهداً مألوفاً في شعفاط وبيت حنينا. واستخدمت الشرطة الإسرائيلية طائرات صغيرة لتتبع تحركات راشقي الحجارة في شعفاط، وأطلقت لاحقاً منطاداً في سماء البلدة ثبتت عليه كاميرات لتصوير راشقي الحجارة.

لكن الحجارة لم تكن السلاح الوحيد الذي استخدمه المقدسيون ضد القطار الخفيف، ففي ٢٢ تشرين الأول / أكتوبر، اندفع الشهيد عبد الرحمن الشلودي بسيارته نحو مجموعة من الإسرائيليين كانوا يتوقفون في محطة للقطار في حي الشيخ جراح، الأمر الذي أدى إلى مقتل طفلة إسرائيلية وأجنبية من الإكوادور جاءت إلى إسرائيل لاعتناق اليهودية.

وفي ٥ تشرين الثاني / نوفمبر اندفع الشهيد إبراهيم العكاري بسيارته نحو محطة توقّف أخرى للقطار في حي الشيخ جراح، الأمر الذي أسفر عن مقتل إسرائيلي اثنين أحدهما ضابط في الجيش.

في طياتها طابع الخوف أيضاً. فقبل يوم واحد من اختطاف الفتى أبو خضير وقتله، كانت مجموعة المستوطنين نفسها قد حاولت خطف الطفل موسى زلوم لولا يقظة والدته، لكن الشرطة الإسرائيلية لم تتحرك.

وكان قد سبق ذلك ثم تلاح، العديد من الاعتداءات التي نفذها مستوطنون إسرائيليون ضد مقدسين في القدس الغربية من دون أن تحرك الشرطة الإسرائيلية ساكناً.

وقال المدير السابق للغرفة التجارية في القدس عزام أبو السعود، في حديث خاص: "صحيح أن السكان المقدسيين توقفوا عن الذهاب إلى القدس الغربية وقاطعوا البضائع الإسرائيلية للتعبير عن غضبهم على الممارسات الإسرائيلية سواء في القدس أو في غزة، لكن كان هناك أيضاً طابع الخوف وعدم الأمان في ظل تكرار حوادث الاعتداء على المقدسيين، عمّالاً ومتسوقين، من قبل متطرفين يهود، وهو ما أدى إلى عزوف قطاع واسع عن التوجه إلى القدس الغربية."

القطار الإسرائيلي الخفيف عنوان الحجارة في القدس

كان القطار الإسرائيلي الخفيف الذي يربط القدس الغربية بمستعمرتي "بسغات زئيف" و"النبي يعقوب" المقامتين شمالي القدس الشرقية، ويمر في بلدة شعفاط، الهدف الأول للشبان الفلسطينيين الغاضبين في اليوم الأول من الاحتجاجات على استشهاد أبو خضير.

فقد هاجم الشبان ثلاث محطات للقطار موجودة في شعفاط ودمروها بشكل



الشاحنة التي كان يقودها إبراهيم العكاري الذي يظهر في الإطار ضمن الصورة

عناصرها وشرطة حرس الحدود التابعة لها، إلى الأحياء الفلسطينية في مدينة القدس الشرقية، وهو ما زاد عددهم إلى أكثر من ٢٥٠٠ عنصر أمن وفقاً للتقديرات الإسرائيلية. ولعل الأمر البارز بشكل كبير خلال الفترة منذ تموز / يوليو، كان حملات الاعتقال غير المسبوق منذ سنة ١٩٦٧ ضد الفلسطينيين في المدينة.

يقول مدير نادي الأسير الفلسطيني في القدس ناصر قوس، في حديث خاص، إن السلطات الإسرائيلية اعتقلت ما يزيد على ١٢٠٠ مقدسي من حملة الهوية الزرقاء في المدينة خلال هذه الفترة وحدها، مشيراً إلى أن "هذه الحملات غير مسبوق منذ بدء الاحتلال الإسرائيلي، إذ تم اعتقال ١١٠ مقدسين في يوم واحد."

ولفت إلى أن "بعض الأسرى ما زال في السجون حتى الآن (أي في تشرين الأول/أكتوبر)، والبعض الآخر تم الإفراج عنه في مقابل الانتقال إلى مناطق بعيدة عن أماكن

وبينما لوحظ انخفاض عدد الإسرائيليين الذين يستخدمون القطار، وخصوصاً لدى مروره في شعفاط، فإن السلطات الإسرائيلية لجأت إلى وضع مكعبات أسمنتية كبيرة في محطات التوقف لتفادي هجمات دهس بالسيارات، وقدّرت خسائر القطار جرّاء تحطم زجاجه في إثر إلقاء الحجارة عليه بملايين الدولارات.

انتشار للشرطة وحملات اعتقال

فضّلت إسرائيل التعامل الأمني مع هذه التطورات، فأتخذت سلسلة من الإجراءات في محاولة لوأد الهبة الفلسطينية المقدسية ومنعها من الانتقال إلى الضفة الغربية. وتفاوت الرد الإسرائيلي ما بين تصعيد حملات الاعتقال، وتشديد العقوبات ضد راشقي الحجارة وذويهم، وتكثيف الوجود العسكري الإسرائيلي في شوارع المدينة، والإيعاز بهدم منازل منفذي العمليات، والملاحقة الضرائبية للسكان. ودفعت الشرطة الإسرائيلية بمزيد من

سكناهم. فمثلاً، سكان شعفاط انتقلوا إلى العيش لفترات متفاوتة في بيت صفاًفا أو العيساوية، وهناك مَنْ فُرض عليهم الاعتقال المنزلي، كما تم منع آخرين من الدخول إلى المسجد الأقصى وإلى بلدة القدس القديمة لفترات متفاوتة.

أرادت السلطات الإسرائيلية إجبار العائلات المقدسية على التحرك لمنع أبنائها من المشاركة في التظاهرات، وفرضت الغرامات الباهظة على المعتقلين، وأصدرت قراراً يسمح بمعاينة راشقي الحجارة بالسجن حتى ٢٠ عاماً. وقال قوس: "في إحدى الحالات تم فرض غرامة بقيمة ٢٠٠,٠٠٠ شيكل إسرائيلي (نحو ٥٤,٠٠٠ دولار)، وهذه غرامة غير مسبقة".

لكن الهبة المقدسية، وعلى الرغم من إشغالها الرأي العام الإسرائيلي بتصدّرها الأخبار الإسرائيلية، لا قيادة لها تتحدث باسمها وتحدد المطالب.

فقد كتب الناشط المقدسي ياسين صبيح في تغريدة على حسابه في موقع "تويتر": "لعل ما يؤلم القدس اليوم، غير قهر الاحتلال، أنها حين تنتفض بشبابها... لا تسمع صوتاً للقيادات السياسية الفلسطينية داعماً لها". أمّا نائب رئيس جامعة القدس للعلاقات الدولية، زكريا القاق، فقال: "يُنظر إلى القدس على أنها جزيرة معزولة، ولا أحد يهتم بسكانها؛ فرام الله تنظر إليها على أنها شيء مبهم، والإسرائيليون لا يأبهون بها".

وأضاف: "في اعتقادي أنه ما لم يكن هناك استثمار جدي لهذه التطورات، وذلك برفع مطالب سكان المدينة من خلال شخص مهتم بالقدس ويكون صوته مسموعاً، فإن أسباب التفجر ستبقى قائمة، وإذا ما توقف الانفجار الحالي فإن الانفجار المقبل هو

مسألة وقت".

واعتبر الخبير بشؤون القدس مهدي عبد الهادي، أن المطلوب هو التعامل الجدي مع حاجات السكان، ونزع فتيل الانفجار المتمثل في الوجود العسكري الإسرائيلي والاعتداء على السكان وأماكنهم ومقدساتهم، ولا سيما المسجد الأقصى.

هل القدس أمام انتفاضة جديدة؟

يختلف المقدسيون فيما إذا كان ما يجري في مدينتهم هو انتفاضة أو هبة، لكنهم يفضلون استخدام تعبير "هبة". ويقول مسؤول ملف القدس في حركة "فتح" حاتم عبد القادر، في حديث خاص: "أعتقد أنه لا توجد استراتيجية انتفاضة في الوقت الراهن، وإنما الحديث هو عن اشتباكات، غير أنه إذا وقع حدث دراماتيكي في المدينة فإن الانتفاضة ستنفجر، ولن تنتظر قراراً من أحد".

وأضاف: "والحدث الدراماتيكي قد يكون قراراً إسرائيلياً بتقسيم المسجد الأقصى بين المسلمين واليهود، أو القيام بعملية عسكرية مجنونة تؤدي إلى سقوط عدد كبير من الشهداء".

وتابع عبد القادر: "فتح لن تقبل بالهدوء في مقابل استمرار الانتهاكات الإسرائيلية، فالهدوء في القدس يأتي مع وقف الإجراءات الإسرائيلية فيما يتعلق بالمسجد الأقصى، وأيضاً توفير حقوق الفلسطينيين المقدسيين، وكلما استخدمت إسرائيل القوة أكثر، كان الرد المقدسي أكبر".

ورأى عبد القادر أنه "لا وجود لزعيم يملك قرار تفجير الانتفاضة، فهذا لم يحدث في الانتفاضة الأولى ولا الثانية. وإذا ما صعدت إسرائيل بشكل كبير، فإن الانتفاضة

"إن إجرامكم لن يزيل خوفكم، ولن يجلب لكم الأمن المزعوم، فلشعبنا الحق المشروع في الدفاع عن نفسه وتحرير أرضه ومقدساته ودحر الاحتلال."

إنه الاحتلال!

ورأى وزير شؤون القدس ومحافظ القدس المهندس عدنان الحسيني، في حديث خاص، أن ما يجري في المدينة لن ينتهي إلا بزوال الاحتلال الإسرائيلي. وقال: "على إسرائيل أن تعلم أن وقف الحجارة، ووقف تصدّي السكان لممارسات الاحتلال، لن يحدثا إلا بانتهاء هذا الاحتلال". وأضاف: "الحجارة هي ردة فعل على ممارسات الاحتلال، فلتتوقف هذه التصرفات الإسرائيلية الشاذة وعندها سيتوقف ضرب الحجارة". وتابع الحسيني: "القضية ليست قضية حجارة، وإنما قضية احتلال آن له أن ينتهي". ■

ستحدث من تلقاء نفسها ولن تنتظر إذناً من أحد."

وأقرّ عبد القادر بأن "لا قرار مركزياً في حركة 'فتح' بالتصعيد، وفي حال اتخاذ مثل هذا القرار، فإنه سيُتخذ بالتنسيق مع باقي الفصائل."

أمّا حركة "حماس"، فلم تُخف رغبتها في انتفاضة في القدس تنتقل لاحقاً إلى الضفة الغربية.

وقال عضو المكتب السياسي لحركة "حماس" عزت الرشق: "القادة الصهيونيون مرتبكون وخائفون من اندلاع انتفاضة جديدة في القدس المحتلة، ويدعون إلى تشديد القبضة الأمنية وإطلاق يد المغتصبين وفق العقيدة الإجرامية: 'ما لا يتحقق بالقوة يتحقق بمزيد من القوة'."

وشدد الرشق في رسالة إلى الإسرائيليين على أن "خوفكم لن يزول وأمنكم لن يتحقق". وقال على صفحته في موقع "الفيس بوك":

من منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية

(القضية الفلسطينية / آفاق المستقبل - ٣)

السيطرة على الغذاء / السيطرة على الشعب

ورامي زريق

آن غوف

٨ دولارات

١١٠ صفحات